خَـريفُ المَـآذِن

باسم فرات: خريف المآذن (شعر)

البريد الإلكتروني للشاعر
basimfurat8@gmail.com

عنوان المراسلات: ص. ب: 216– الأورمان 12612– القاهرة

هاتف: 01094374254

Saheel News and Publishing
P.O.Box: 216- Orman 12612- Cairo
Tel: (002) 01094374254

saheelpublishing@gmail.com
khalilinasser@gmail.com

الطبعة الثانية: 2017

رقم الإيداع بدار الكتب المصرية:
2017 / 17878

الغلاف للفنانة: ميس السراي

جميع الحقوق محفوظة للمؤلف

خَـريفُ المَـآذِن

شعر

باسـم فـرات

الإهـداء

إلى جينيت

هل نحن تناغم حضارتين؟

وإلى أمّي حتمًا

باسم

◊ إلى لُغَةِ الضَّوْءِ أَقُودُ القَنَادِيل ◊

أيُّ حُلْمٍ يُجَفِّفُ طُفُولَتِي
أيُّ حُلْمٍ يَشُقُّ صَبَاحَاتِي

أَنَا الأَخِيرُ فِي قَافِلَةِ العُزْلَةِ
صَهِيلِي يَتَّكِئُ عَلَى صَحْرَاءَ فَاضَ حِدَادُهَا
ويُهَرْوِلُ بَيْنَ الأَمْطَارِ وَبَيْنَ الشَّظَايَا

كَيْفَ لي أَنْ أَتْرُكَ نِسْيَانِي
يُوَزِّعُ ذِكْرَيَاتِهِ بِاتِّجَاهِ الأَلَمِ
وَلا يَصْرُخُ: يَا بِلادُ اسْتَرْجِعِينِي
البَرَاءَةُ عَزْلاءُ إِلاَّ مِنَ السَّوَادِ

وَأَنَا أَتَلَمَّسُ دَمِي

وَحِيدًا فِي سَاحَةِ العَرَضَاتِ

يُطْلِقُ النَّارَ عَلَى الرِّيحِ

وَيَفْتِكُ بِأَوْرَاقِهِ الصَّدَى

لا ظِلالَ لِهُدُوئِهِ كَيْ يَسْتَقِيمَ

كَيْفَ لي أَنْ أَبُلَّ نِسْيَانِي

بَهَزِيعِ التَّمَائِمِ

وَالرَّازِقِيُّ يَسِيلُ أَسًى *

كَانَتَ البِدَايَةُ

جَمْرَتَيْنِ تَزُفَّانِ الأُفُقَ

وَتَصْهَلانِ عِنْدَ البَابِ

* نوع من الزهور، أبيض، يكثر بالعراق، ينتشر عبقه ليلاً.

بِلا أَجْوِبَةٍ

كَانَتْ البِدَايَةُ

أَنْ أُشَذِّبَ حُزْنِي

يَنُوءُ

بِخَاصِرَةِ الحُلْمِ

وَأَنَا أَعُدُّ حَرَائِقَ أَيَّامِي

أَعُدُّ نُتوءَاتِهَا فِي ذَاكِرَتِي

لي لُغَةُ النَّيَازِكِ

وشَهْوَةُ أَرْخَبِيلاتٍ تَضِيقُ بِهِنَّ القَصَائِدُ

لا دَلِيلَ لِبَوْصَلَتِي

غَيرَ الأَسَى

وَالفَجْرُ مُعَبّأٌ فِي شَاهِدةٍ لمَاضِيَّ

أَرْثِيكَ يَا جُمُوحُ لأَنَّ جَنَاحَيْكَ

أُنْشُوطَتَانِ لِلنَّهَارِ

بَيْنَمَا البَحْرُ يُهَرِّبُ الأَصِيلَ إِلَى ضِفَّةٍ بِلا هُوِيَّةٍ

الشَفَقُ جُغرَافِيَّةُ دَمِنَا

أَنَا وَبَغْدَادُ

نَجْلِسُ مَعًا عَلَى شَاطِئٍ نَعْرِفُهُ

نَحْتَسِي خَرَابَنَا

بَغْدَادُ...

لَيْلٌ يُجَفِّفُ عَتَمَتَهُ بِضِيَائِي

سَلامًا مَنَادِيلَ الوَدَاعِ الَّتي جَفَّفَهَا مَطَرُ الانْتِظَارِ

سَلامًا عَبَاءَاتِ الدُّمُوعِ التي هِيَ تَارِيخُنَا بِلا شَكٍّ

أَنْتَ وَحْدَكَ

تَمْلأُ الأَنْهَارَ أَغَانِيَ وَذِكْرَيَاتٍ

وتُعَرِّي المَوْجَةَ مِنْ هَذَيَانَاتِهَا

تَزْهُو بِحُطَامِكَ

وَبِحُطَامِكَ تَفْرُكُ عَنْ طُفُولَتِكَ الطَّائِرَاتِ وَالخَنَادِقَ

لَكَ مَوَاقِيتُ الآسِ في النَّرْجِسِ

وَهُوَ غَارِقٌ في رُؤَاهُ

وَتَكْتُبُ إِلَيْكَ:

أَخْطَائي

تَابُوتٌ...

يَصْرُخُ خَلْفِي لاهِثًا

لُغَةٌ ضَيَّعَتْهَا حُرُوفُهَا
حَتَّى تَعَرَّتْ بِلا مَأْوَى
شُعُوبٌ تَهَرَّأَتْ مِنَ البَوْحِ
في قَفَصِ الأُمْنيَاتِ

أَخْطَائي.. أَنَا
أَخْطَائي
أَبِي.. خَطَأٌ يَتَنَاسَلُ
أُمِّي خَطَأٌ يَنْتَظِرُ خَطَأً مِنْ أَجْلِ خَطَأ
أَنَا خَطَأٌ يَعُدُّ الخُطَى فَيُخْطِئُ

كَيْفَ لي أَنْ أَتْرُكَ نِسْيَانِي يَتَشَظَّى

وَفِي النَّخْلِ

أَنِينٌ يَنِزُّ

أَنَا السُّومَرِيُّ

المُدَجَّجُ بِالأَحْلامِ وَالأَسْئِلَةِ

مُتَلَكِّئًا

أَنْفُضُ الحَنِينَ عَنْ أَصَابِعِي

أَرْتَجِفُ دَاخِلَ حَيَاتِي

عَبَثًا أَنْزِعُ الخَوْفَ عَنْ وِسَادَتِي

أُمَسِّدُ عُذُوبَةَ الغَابَاتِ

أُوَارِي خَجَلَ البَحْرِ

أَمَامَ رُعُونَةِ المَوْجِ

أَقُودُ القَنَادِيلَ إِلَى الضِّيَاءِ

وَأُرَتِّقُ صَبْرَهَا

غَيْرَ عَابِئٍ بِالخُلُودِ

غَيْرَ عَابِئٍ بِالأُفُولِ أيضًا

أَخْمِشُ الآفَاقَ وَأَمْضِي...

أَنَا جَنَّةُ نَفْسِي وَقِيَامَتُهَا

بِتُؤْدَةٍ أُلَوِّحُ لِلرَّيَاحِينِ..

بِتُؤَدَةٍ تَنْسَابُ الحُقُولُ فَوْقَ سَرِيرِي

تَنْضَحُ الضِّفَافُ عَوِيلَهَا بِقُرْبِي

بَيْنَمَا النَّشِيجُ.. يَنْدَلِقُ عَبْرَ نَوَافِذِ الانْتِظَارِ

بِتُؤَدَةٍ شَغَفِي يَتَسَلَّلُ خُفْيَةً

أَلْمِسُهُ...

أحْرُثُهُ في النَّهَار..

ويَحْرُثُنِي في اللَّيْلِ

شَغَفِي يَجُرُّ النَّهْرَ إِلَى صَحْرَائِهِ

وَالعَطَشَ إِلَى السَّمَاءِ

ثُمَّ يَنْتَحِبُ أَمَامَ وَحْدَانِيَّةِ بَرَاءَتِهِ

شَغَفِي يَتَهَجَّدُ فِي مَوْقِدِ مُشَاكَسَاتِهِ

حَامِلاً الجَمْرَةَ فِي تَبَارِيحِهِ

أَيُّ الأزِقَّةِ تَفْتَحُ قُمْصَانَهَا لِلغَرِيبِ

أُعلِّقُ عَلَى الجُدْرَانِ انْكِسَارَاتِي

وَأَتَوَسَّدُ الحَنِينَ

لَسْتُ إلاّ الأَخِيرَ فِي قَافِلَةِ العُزْلَةِ
وَلأَنِّي بِلا أَمْجَادٍ تُرَصِّعُ حَيَاتِي

تَرَكَتْنِي أَحَلامِي ومَضَتْ
فَنَثَرْتُ عَلَى الشَّبَابِيكِ لَهْفَتِي
وَعَلَى الأَبْوَابِ خَيْبَاتِي.

وَلِنْغْتُن ١٩٩٩

◊ أَرْسُمُ بَغْدَادَ ◊

ما شِئْتُ ... شِئْتُ

أَسْكُبُ الفَجْرَ فِي تَلَمُّسِ لَيْلٍ غَارِقٍ بِعَمَاهُ

أَكْتُبُ تَارِيخَ جَنُوبِيِّينَ فَوْقَ عَبَاءَةِ أُمِّي

وَعَبَثًا أَمْسَحُ أَكْفَانَ الأَيَّامِ المُنْسَدِلةِ مِنْ شَعْرِهَا

مَقْبَرَةُ السَّنَوَاتِ تَتَمَدَّدُ فَوْقَ إِسْفَلتِ ذَاكِرةٍ مَلِيئَةٍ

بِنُدُوبِ الحُرُوبِ

حِدَادٌ يُغلِّفُ حَيَوَاتِنَا

لا أَتَنَفَّسُ سِوَى الخَرَابِ

أُحَاوِلُ– دُونَ جَدْوَى – أَنْ أَفْتَحَ كُوَّةً فِيهِ

لا أَجِدُنِي إِلاّ انْكِسَارًا يُشِعُّ

أُطِلُّ عَلَى الجَمِيعِ وَأُسْرِجُ الآفَاقَ تَحْتِي

خَلْفَ الكَلامِ هَوَامِشُ كَثِيرةُ التَّحْدِيقِ

وَلافِتَـاتٌ تَسْأَلُ عَنْ جَوَاد سَلِيمٍ

بَيْنَمَا الوَقْتُ يُطَرِّزُ مَنْفًى لِعَبَاءَاتِ النَّخِيلِ

أَفُكُّ أَزْرَارَهُ أَقْرَأُ: الطُّفُولَةُ أَسْئِلَةٌ لا تَنْتَهِي– تَتَشَعَّبُ –

أَوْ أَسْئِلَةٌ تَنْمُو فَوْقَ طُحْلُبِ الأَيَّامِ

يَتَأَسَّسُ المَسَاءُ كُلَّمَا انْحَدَرَتِ الشَّمْسُ مِنْ رَحِمِ يَاقُوتَةٍ

الِانْتِظَارُ حِكْمَةٌ تَصِلُ الْيَقِينَ بِي

أَمَامَ انْدِهَاشِ الغَيْمَةِ العَذْرَاءِ

يَتَلَوَّى العُمْرُ عَلَى الوَرَقَةِ

أَوْ

يَتَبَخْتَرُ– يَا لَرُعُونَتِهِ!– تَحْتَ نَزْفِ الطَّائِرَاتِ

جَسَدِي أَدْمَنَتْهُ الشَّظَايَا فَلاذَ بِقَهْوَةِ الْمَنْفَى

أَنَا بِلا مُتَعٍ

بِلا أَمْجَادٍ

خَذَلَتْنِي أَحْلامِي.

مُنْعَزِلاً فِي أَقْصَى الضَّيَاعِ

تَرْثِينِي فَاجِعَتِي

وَيَقُودُنِي حُطَامِي

أَتَتَبَّعُ آثَارَ طُفُولَةٍ وَأُرَتِّقُ أَمَانِيَّ دَهَسَتْهَا الْمُجَنْزَرَاتُ

أَرَى مُظَاهَرَاتِ الْخَوْفِ تَنْدَلِقُ مِنْ جُيُوبِي

وَلأَنَّ البَحْرَ مُنْزَوٍ هُوَ أَيْضًا

رَاحَ يُوَزِّعُ غُرْبَتَهُ عَلَى أَمْثَالِي فَقَطْ

لا أَحَدَ يُغَرِّدُ فِي حَنْجَرَتِي

سَرَقْتُ ذَاكِرةَ النِّسْيَانِ

رَغْمَ أَنِّي حَاوَلْتُ أَلْفَ مَرَّةٍ أَنْ أُخَبِّئَ الفُرَاتَ

لَكِنَّنِي عَانَقْتُهُ

فَخَرَّ أَزِيزُ الْمَدَافِعِ مِنْ قَمِيصِي

رَسَمْتُ سَمَاءً صَافِيَةً لأَنْفُذَ مِنْهَا

مَحَتْهَا الصَّوَارِيخُ

رَسَمْتُ جَدْوَلاً وَقُلْتُ: هَذَا نَهْرُ الحُسَيْنِيَّةِ

تَلَصَّصَتْ عَلَيْهِ المَطَارَاتُ

رَسَمْتُ مِئْذَنَةً وَنَخْلَةً

وَوَحِيدًا أَوْقَفُونِي إِلاّ مِنْ مِرْآةٍ أَحْمِلُهَا

تَصْفَعُنِي الأَيَّامُ كُلَّمَا صَرَخْتُ:

أَبِي يَا أَبِي، أَوَ كُلَّما تَوَغَّلْتَ في مَوْتِكَ
أَهَلْتَ التُّرَابَ عَلَى أَحْلامِي؟!

لا أَخْدِشُ حَيَاءَ البَنَفْسَجِ
رَغْمَ تَوَرُّطِ الحَفِيفِ بِمُصَاهَرَةِ النَّدَى
أَضَعُ نَظَّارَاتِ الوَقْتِ فَوْقَ فُسْحَةِ الأُمْنَيَاتِ
فَيَرْتَشِفُنِي الصَّمْتُ مِنْ بَيْنِ ثَنَايَا الوَدَاعِ
خَشْيَةَ أَنْ أُوقِظَ اليَاسَمِينَ؛ أُمَرِّرُ يَدِي فَوْقَ جَسَدِهِ بِتُؤَدَةٍ
أَسْمَالِي تَهْزَأُ بِالطَّائِرَاتِ وَمَا دُونَ عَتَبَةِ الدَّارِ رَجْمٌ بِالسَّرَابِ
النَّافِذَةُ أَيْضًا خَرِيطَةٌ تَقْتَصُّ مِنَ الِانْتِظَارِ أَجْنِحَتَهُ
وَتَمْحُو مَا يُسَطِّرُهُ الخَيَالُ في البَالِ
أَوْمَأتُ للأَشْجَارِ: أَنِ احْمِي ظِلِّيَ مِنْ نَزَقِ الخُطُوَاتِ
فَتَرَاشَقَنِي العَرَاءُ

لِيَعْبُرَ الجَنُوبُ

تَرْفَعُ أَثْوَابَها الفُصُولُ

الأَسَى ذَاتُهُ يَفْتَحُ أَزْرَارَ انْكِسَارَاتِنا مُبْتَهِجًا

كَيْفَ لِي أَنْ أَسْرِقَ الفَرَحَ مِنْ زُكَامِ مَا تَبَقَّى؟

هَلْ أُطْلِقُ الرَّصَاصَ عَلَى شَاهِدَتِي؟

بَاهِتٌ دِفْءُ يَدَيْكِ

بَاهِتَةٌ أَنْتِ حِينَ تَخْلَعِينَ عَنْ مِعْصَمَيْكِ الأَغَانِي

أُطْلِقُ الرَّصَاصَ عَلَى شَاهِدَتِي

تَتَثَاءَبُ فِي أَحْضَانِ السَّمَكِ النُّجُومُ وَتُلَوِّحُ لِي

أُرَمِّمُ قَلْبِي بِيَدٍ وَبِالأُخْرَى أَتَدَارَكُ الوَرْدَةَ مِنَ الهَذَيَانِ

أَتَدَارَكُ الشُّرُفَاتِ مِنَ السُّقُوطِ فِي مُسْتَنْقَعٍ حَافِلٍ بِالسَّمَاءِ

البَحْرُ يَتَشَبَّثُ بِي كُلَّمَا تَلَكَّأَ أَمَامَ بَرَاءَتِي

تَتَسَلَّقُ الشُّبُهَاتُ حَافَّةَ الوَقْتِ

أَكْدَاسٌ مِنَ الحُرُوفِ تَحُفُّ بِشَوَاطِئِ الكَلِمَة

أَسْمَعْتُكَ نَشِيدِي فَمَا أَسْمَعْتَنِي غَيْرَ احْتِرَاقِي

قُدْتُ المَطَرَ إِلَى بَابِكَ فَانْزَلَقَتْ أَنَامِلُهُ فَوْقَ جَبِينِي

أَرْخَيْتُ تَسْهِيدِي لِلْحَدَائِقِ، لأَنِّي أَمَامَ أُتُونِ الفَرَاشَاتِ

وَدُونَ خَرَابِيَ المَاثِلِ لِلْوَرْدَةِ وَالعَصَافِيرِ

عَلَى أَوْرَاقِي تَسْتَيْقِظُ أَحْلامٌ

وَأَنَا أَرْدِمُ حُفْرَةً في النُّورِ

ظِلالِي تَتَعَرَّى

لأَنَّ صَهِيلَ الخَطِيئةِ مَا عَادَ يَهْدِي النِّسَاءَ إِلَى جَحِيمِي

وَارَيْتُ الرِّيَاحَ فَوْقَ أَجْدَاثِ الآلِهَةِ

أُكَسِّرُ عَوِيلَ المَسَاءَاتِ عَلَى نَوَافِذَ لا تُشِيرُ لِسِوَايَ

وَلا تَسْتَكِينُ لِعُرْيِ نَائِحَةٍ لِهَدَيرِ الِانْكِسَارَاتِ.

هَلْ لِي أنْ أُرَتِّبَ مَوْعِدًا أَسْتَضِيفُ الأَصْدِقَاءَ

بِلا بَهْرَجَةِ النَّدَامَى أَوْ زُخْرُفِ المَلائِكَةِ

وَبِلا نَدَى أَحْمَرَ يُبَلِّلُ رَائِحَةَ المَنْفَى؟!

هَلْ حَقًّا: ثَلاثُونَ بَوْصَلةً أَخْطَأَتْنِي؟

سِوَى ضَابِطِ الجَوَازَاتِ

تَلَكَّأَ فِي الخُرُوجِ مِنْ ذَاكِرَتِي.

لِأَقْوَى عَلَى الانْشِطَارِ دَاخِلَ ضَلالاتِ اللُّغَةِ

لاذَ البَحْرُ بِسَرِيرِي وَلاذَتِ الصَّحْرَاءُ

وَفِي كُلِّ حُلْمٍ تَغْرَقُ الشُّبْهَاتُ

وَتَظْمَأُ الحُدُودُ مِنْ ضِيقِ اتِّسَاعِهَا.

يَدِي مُدَمَّاةٌ بِثَلْجٍ يَتَلَعْثَمُ كُلَّمَا قَشَّرَ الضَّبَابُ رِئَتَيَّ

عِنْدَ تُخُومِ النِّسْيَانِ يَسْتَيْقِظُ الْبَرْدِيُّ

لِيَنُوءَ بِأُغْنِيةِ المَشَاحِيفِ

هَلْ أَسْتَدْعِي أَعْوَامِيَ الثَّلاثِينَ لأَقِيَ قَامَةَ النَّرْجِسِ فُحُولَتِي؟

مَزِيدًا مِنَ الانْدِهَاشِ أَمَامَ فِخَاخِ النَّصِّ

مَزِيدًا مِنَ الِانْدِهَاشِ أَمَامَ مَرَاثِي السُّكَارَى عِنْدَمَا يُطِلُّ الغَسَقُ

اسْتَدْرَجِينِي لأُرَاقِبَ غُرْبَةَ النَّخِيلِ

وَأَحْتَسِي ثُمَالَةَ كَأْسٍ

تَتَزَاحَمُ فِيهِ مَرَايَانَا.

وَلِنْغْتُن ١٩٩٧ – ١٩٩٨

◊ عَانَقْتُ بُرْجًا خِلتُه مِئْذَنَة ◊

بَيْنَما أُحَاوِلُ أَنْ أُمْسِكَ بِالنُّعَاسِ
تَخْمِشُ وَجْهِي شَمْسٌ تُطَارِدُ فُلُولَ اللَّيْلِ
مِثْلَ جَيْشٍ أَنْهَكَتْهُ الْهَزَائِمُ
يَشْرَئِبُّ الأَسَى في خُطُوَاتِي
فَأَصِيحُ:
كَمْ مِنَ السَّنَوَاتِ أُعِدَّتْ
لِكَلامٍ مُتَّشِحٍ بِالسَّوَادِ؟!

مَزْهُوَّةٌ ظِلالِي بِي
أُحَدِّثُ عَابِرِي الكَلِمَاتِ
عَنْ سَمَاءٍ أَجْلَسْتُهَا فَوْقَ سَرِيرِي

وَأَرْقَصْتُ نُجُومَهَا

فَفَرَّ الخَرِيفُ مُحْتَدِمًا يَزْفِرُ يَبَاسَهُ

وَشَيْتُ بِالحَدَائِقِ لِلْفَرَاشَاتِ فَلاذَتْ بِبَابِي

لَمْ أَدْعُ غَيْرَ حَمَاقَاتِي إلى مَائِدَتِي

كَيْفَ طَوَّقَنِي الرَّازِقِيُّ؟

لَسْنَا سِوَى خَيْبَاتٍ صَدِئَتْ ذِكْرَيَاتُهَا

هَكَذَا

لِكَيْ أَجْتَازَ الوُصُولَ

لَمْ أَلْتَفِتْ لِجِرَاحِي

ثِيَابِي أَطْعَمْتُهَا للنَّهْرِ

وَعيْنَايَ تَتَهَجَّيَانِ رَائِحَةَ غِيَابِي

لَمْ أَتَحَسَّسْ غَيْرَ انْتِظَارِهِمْ

وَقُطْعَانُ النُّجُومِ تُشَاكِسُ عَرَبَةَ الظَّلامِ

سَأُفْضِي لِلأَرْصِفَةِ بَعْضَ جُنُونِي

لَكِنَّنِي أَخْشَى مِنَ العَابِرَاتِ الْحَسَدَ

أَتَوَلَّهُ بِالآسِ وَهُوَ يُشْبِهُنِي تَمَامًا

وَأُطْلِقُ لِلعَصَافِيرِ حُرِّيَّةَ الزَّقْزَقَةِ

أَسْتَرْخِي فَوْقَ هَدِيلٍ أُزَرِّقُهُ بِعِنَايَةٍ

وَأَقُولُ: لِكُلِّ عَاصِفَةٍ مُتَّكَأٌ مِنَ النِّسْيَانِ

قَلْبِي حَقْلٌ لَمْ تَتَنَزّهْ فِيهِ الطَّائِرَاتُ كَثِيرًا !!

فَكَانَ بَوْصَلَةً وَفَانُوسًا يَتَدَلَّى مِنْهُ الصَّبَاحُ

أَغْوَيْتُهُ بِالوِشَايَةِ

لَمْ يَقُلِ النَّرْجِسُ سَلامًا وَلازَمَنِي

– كَيْفَ أَرْسَلُوكَ لِلْحَرْبِ وَأَنْتَ مُصَفَّدٌ بِالحُبِّ؟ –

أُمِّي أَشْعَلَتْ ثَلاثَةَ عَشَرَ قِنْدِيلاً

تُؤَثِّثُ لِانْتِظَارِي

وعِنْدَمَا شَاخَتِ النَّوَافِذُ بِتَرَقُّبِهَا

أَشْعَلَتُ مَا تَبقَّى لِلرَّحِيلِ

عَلَى كُلِّ بَابٍ رَايَةٌ سَوْدَاءُ تَشُقُّ فُحُولَةَ النَّهَارِ

كَفَى تَنَاسُلاً أَيُّهَا الخَرَابُ

صَمْتٌ يَطْرُقُ نُعَاسَهُ وَيَمْضِي

فَأَلْمَحُ طُفُولَةَ الجَمْرَةِ تَلْهُو مَعَ زُهُورِ البُرْتُقَالِ

أَشَرْتُ لَهَا

أَشَاحَتْ بِبَيَاضِهَا إِلَيَّ

أَدْهَشَنِي حُنُوُّهَا

– سَأُزَاحِمُ البَرْدَ فِي أَحْلامِكَ –

كَيْفَ لي أَنْ أُشَاكِسَ صَدْرَكِ

وَلا يَبْتَهِجَ اليَاسَمِينُ؟

كَيْفَ لي أَنْ أَقُودَ جَوْقَاتِ البَتُولا؟

– مَنْ لي لأَقُودَ –

تَتْبَعُ مُوسِيقَى ضَحِكَاتٍ تَحْرُسُ شَفَتَيْكِ مِنْ أَنْهَارِي

لاذِعٌ هُو الخَصْرُ حِينَ يَلْثَغُ عُنْوَةً غَرَقِي

لاذِعَةٌ أَنْتِ وَأَنَا أَطَأُ شَوَارِعَ عَذْرَاءَ... لِبُرُوغِي

الصَّهِيلُ يَحْفِرُ بِئْرًا لإِيوَائِي

أَسْرَابُ الضِّيَاءِ تَتَخَفَّى بَيْنَ جَفْنَيَّ

بَحْرٌ مِنَ الأُمْنِيَاتِ يُغَادِرُ رَأْسِي

تَعَثَّرَ الهَدِيلُ عَلَى النَّافِذَةِ

بُحَّ صَوْتُ المُغَنِّي

كَإِشْرَاقَةٍ بَاهِتَةٍ سَرَّبَتْنَا المَحَطَّاتُ

لُذْنَا بِأَهْدَابِ الزَّيْزَفُونِ

نَتَوَسَّلُ مَصَابِيحَ عُورًا أَنْ تَسْتَحِمَّ بِظُلْمَةٍ

تَسْجُنُ في جُعْبَتِهَا الكَوَاكِبَ

أَطْلَقْتُ شَرَارَتِي إِلَيْكِ فَلَمْ تَصِلْ

حَدَّثْتُ الأَسَى عَنْكِ

فَلَوَّحَ بِنَخِيلِهِ

لَيَطْرُدَ الأَبَدِيَّةَ عَنْ إِغْفَاءَتِي

وَيَمْسَحَ شُطْآنَهُ فَوْقَ جَبِينِي

هَلْ أُصْغِي إلى هَذَيَانَاتِ الأَسْرَار وَهِيَ تَتَلوَّى عَلَى الوَرَقَةِ

ثُمَّ أَتْرُكُ عَلَى الطَّاوِلَةِ سَنَوَاتِي تُطْفِئُ آلامَهَا

اخْتَرْتُ مِنَ المَطَرِ قَوَارِيرَ وَحْدتِهِ

لَبِسْتُ مَتَاهَتِي

وَتَوَغَّلْتُ فِيهَا

لَمْ أَلْتَفِتْ لِشَبَابِيكَ خَبَّأَتْ نَظَرَاتِي فَوْقَ مَخْدَعِها

لَمْ أَلْتَفِتْ لِحُقُولِ عَبَاءَاتٍ غَادَرَتْهَا السَّوَاقِي

فَمشَّطَتْ لَيَالِيَهَا نَزْوَةُ القَمَرِ

أَجْلَسْتُ ثَلاثِينَ عَامًا عَلَى رُكْبَتَيْهَا
المَرْأَةُ بِسَنَوَاتِهَا الأَرْبَعِينَ
فَأَرْضَعَتْنِي بُكَاءَهَا وَأَحْلامَهَا اليَابِسَةَ
عَلَى سَاقَيْهَا تَغْفُو مَلائِكَةٌ
المَرْأَةُ ذَاتُهَا
أُنُوثَتُهَا فَاضَتْ بَيْنَ يَدَيَّ
فَأَزْهَرَتِ السَّمَاءُ بِاللَّيْلَكِ البَرِّيِّ.

الجَدَاوِلُ تَجْنَحُ بِبَيَاضِهَا
فَتُلَوِّحُ لِيَ الشَّوَاطِئُ بِحُرِّيَّةٍ مُطْلَقَةٍ
أَخْشَى عَلَى السماءِ مِنَ الطُّوفَان.

فَلَيْسَ ثَمَّةَ نَبِيٌّ يُنْقِذُ مَا تَبَقَّى

تَتَلصَّصُ عَلَيْنَا الشُّرُفَاتُ بِعَيْنٍ وَاحِدةٍ
ظِلالُنَا تَرْشُقُ السَّتَائرَ بِالقُبَلِ
المُوْجُ يَسْتَجْدِي مِنَ المَارَّةِ قُمْصَانَهُمْ
لِيُعلِّبَ السَّوَاحِلَ فِي غَثَيَانَاتِ الضَّبَابِ
العَرَبَاتُ تُبَادِلُهُ الخُدُوشَ وَالخَرَائِطَ المُبْتَلَّةَ
عَانَقْتُ بُرْجًا خِلْتَه مِئْذَنَةً

* حِينَ لَمْ يَجِدْ عَدُوًّا
رَمَى الحُدُودَ وَرَائِي.

* وَحِينَ آذارُ بَاهتٌ، أَصَابِعِي زُرْقٌ

لَمْ أُدَخِّنْ سِوَى وَجَعِي

وَالأُقْحُوَانُ شَدِيدُ التَّلَكُّؤِ

أَمَامَ النَّشِيدِ مَنْ تَعَكَّزَ عَلَى حَيَوَاتِنَا.

عَمّان

آذار ١٩٩٧

◊ دُلَّنِي أَيُّها السَّـوَاد ◊

مُزدَحِمًا
بِانْشِغَالِ الآسِ
يُلَوِّحُ بِأَصَابِعِهِ لِلَّذِينَ يَمْضُونَ
وَمَعَهُمْ أَسئِلَةُ الوَرْدَةِ
مُزْدَحِمًا بِأَحْلامِي

هِيَ أَيْضًا مُنْشَغِلةٌ بِرَتْقِ جُنُونِهَا
وَفِيمَا الأَمْوَاجُ تَتَدَلَّى مِنْ قَمِيصِي
وَمِنْ رَاحَتَيَّ تَتَسَاقَطُ نُجُومٌ

وَغَابَاتٌ تَتَحَاشَى الشَّمْسَ
كَانَتِ الأَنْهَارُ تَتَوَسَّطُ الغُبَارَ الأَعْمَى

دُلَّنِي . . . . .
كَيْفَ أَرسُمُ بُرُوقِي فَوْقَ سَرِيرِكَ
دُلَّنِي
دُلَّنِي أَيُّهَا السَّوَادُ.

عَمّان ١٩٩٥ م.

◊ آهِلُونَ بِالنَّزِيف ◊

الذِينَ أَوْقَدُوا شَمْعَتَكَ نَاحِلٌ رَحِيلُهُم
وَخَرِابُهُمْ مُعَلَّقٌ فِي أَقَاصِي العُمْرِ
مَنْ لي بِأُتُونِكَ أُتُونٌ
شَجَرٌ يَحْمَرُّ لِإِشْرَاقَتِكَ
يُخَضِّبُ سَنَوَاتِي بِذُبُولٍ مُسِنٍّ
يُطرّزُ جَدَاوِلِي بِنُجُومٍ مَا لَهُنَّ ظِلالٌ

الذِينَ أَشْعَلُوا أَحْلامَهُم بِالمَنَافِي
لَيْتَهُمْ تَنَاسَلُوا فِي رَاحَتَيْكَ سَهْوًا
وَمَا أَذِنُوا للمَرَايَا أَنْ تَتَنَاسَخَ فِيكَ
أَبْوابُكَ صَدِئَتْ أكُفُّهَا
وَمَا زَالَتْ عَلَى العَتَبَةِ
مُسْتَيْقِظَةً تَلْوِيحَتُهَا البَاهِتَةُ

ثَقَّبُوا قَمِيصَكَ بِالآسِ
وَنَسُوا عَلَى الطَّاوِلَةِ جُرْحَكَ
مِثْلَمَا نَسِيتَ أَيَّامَكَ تَحْرُسُ خُطُوَاتِهِمْ
عَلَّمْتَ الحِنَّاءَ الرَّقْصَ في أَصَابِعِهِمْ
وَالقَرَنْفُلُ آيَتُهُ الحَنِينُ
لا تَبْتَعْ لِغَيْرِ طِينِكَ الرازقيَّ
حَتَّى لَوْ كَانَ الهَدِيلُ... ذَاكِرَةً مُسْتَفِزَّةً

الذِينَ أَوْقَدُوا شَمْعَتَكَ
آهِلُونَ بِالنَّزِيف.

عَمّان
شباط ١٩٩٧

◊ عَبَرْتُ الحُدُودَ مُصَادَفَةً ◊

– الحُرُوبُ التِي كُنْتُ خَاسِرَها الوَحِيدَ–
عَلَّقْتُهَا عَلَى مَضَضٍ
وَمَضَيْتُ أَبْحَثُ عَنِّي

أَغْتَسِلُ بَعَسَلٍ
وَالخَرَابُ يَصْهَلُ فِي كَتِفَيَّ
رَائِحَةُ الشَّظَايَا
غَثَيَانٌ يَسْتَطِيلُ
أَجُرُّ هَزَائِمَ مُتَكَرِّرَةً
أَصُفُّهَا عَلَى الطَّاوِلةِ
كَيْ تَجْرَحَ الأَوْسِمَةَ
أُعَلِّقُ عُمْرِي عَلَى رَصَاصَةٍ
تَدَلَّتْ مِنْ سَمَاءٍ بَعِيدَةٍ

أَصَابِعِي بَقَايَا مُدُنٍ غَابِرَةٍ
وَخَتَمَ المَوْتَى خُطُوَاتِي
انْتَظِرِينِي أَيَّتُهَا الشَّمْسُ
لأَنْتَشِلَ صَبَاحَاتِي مِنْ رَصِيفٍ
لَيْسَ فِيهِ سِوَى جُثَّتِي وَبَقَايَا
جَمَاجِمَ أَكَلَتْهَا الغُرْبَةُ

لا تَرْحَلِي بَعِيدًا
لِأَلُمَّ شَظَايَايَ
مِنْ حُفْرَةٍ فِي الغُيُومِ
وأُوَزِّعَ سَنَوَاتِي عَلَى الصُّحُفِ
سَنَوَاتِي المُجَفَّفَةَ كَالزَّبِيبِ
رَمَادُهَا – هِذِهِ الحُرُوبُ – أَغْلَقَ رُوحِي
وَجَفَّفَ زَيْتَ طُفُولَتِي عِنْدَ البَابِ
الأَبْوَابُ أَطْلَقَتْنِي

وَلَسَعَتْ صَبَاحِي
البِلادُ فَرَّتْ مِنْ أَصَابِعِي

عَبَرْتُ الحُدُودَ مُصَادَفَةً
أَوْسِمَتي عَلامَاتُ اسْتِفْهَامٍ
كَانَتِ المَسَافَاتُ تَصْهَلُ
بَرْدُهَا يَجْثُو فَوْقَ أَعْمَارِنَا
يُفَتِّتُ أَيَّامَنَا
وَغُبَارِي يَفْتَرِشُ الشَّبِابِيكَ وَالجُدْرَانَ

لَكِنَّه لا يَدْنُو مِنْ قَامَتِي
مُنْذُ نُزْهَةِ الحَرْبِ الأُولَى
أَعْنِي حَمَاقَةَ الجِنِرَالِ
دَخَلْتُ المَدِينَةَ
مِثْلَ كَلْبٍ

تَعْوِي بِوَجْهِهِ البُيُوتُ
أُمِّي تُرَمِّمُ النُّجُومَ الَّتي اخْتَلَطَتْ بِشَعْرِهَا
وَتَشْرَبُ شَايًا تُذِيبُ فِيهِ أَحْزَانَهَا
الطُّرُقَاتُ تَسِيلُ عَلَى قَدَمَيَّ
وَالأَشْجَارُ
تَتَدلَّى ثِمَارُهَا عَلَى الأُفُقِ
–الأُفُقُ وَهْمٌ لِوَقْفِ العَيْنِ–
مَن يُمسِكُ بظِلِّهِ؟

أَخْطَاؤُنَا وَطَنٌ يَتَّكِئُ عَلَى حَرْبِهِ
وأَحْلامُنَا تَنْمُو عَلَى الشُرُفَاتْ.

عَمّان

١٩٩٥م.

◊ عِنَاقٌ لا يَقْطَعُهُ سِوَى القَصْف ◊

مَأخُوذًا بِمَا سَتُطْلِقُه يَدَايَ
مِنْ مَحَبَّةٍ وَذِكْرَيَاتٍ جَفَّفَهَا الحِصَارُ
أَيَّامِي تَتَنَاسَلُ سَوَادًا

هَا أَنَذَا
أُطْلِقُ المَطَرَ وَالخُضْرَةَ مِنْ خَرِيفِي
بَيْنَمَا الحُرُوبُ تَتَفَاقَمُ فِيَّ
تَبْتَلُّ ذَاكِرَتِي بِالمَنَافِي
بَيْنَ الرَّصِيفِ وَقَلْبِي
عِنَاقٌ طَوِيلٌ
لا يَقْطَعُهُ سِوَى القَصْفِ
الأَزِقَّةُ وَالجُوعُ، وَالنَّظْرَاتُ المُتْخَمَةُ بِالحَسَرَاتِ؛
إِلى النِّسْوَةِ اللائِي حَمَلْنَ ثِمَارَ الغَوَايَةِ فِي سَرَاوِيلِهِنَّ

فَضَاقَتْ مِثْلَ بِلادِي
حَمَاقَاتِي المُتَكَرِّرَة.

يَنْزَلِقُ الانْتِظَارُ مِنْ عُيُونِنَا
يَمْضُغُ الشَّوَارِعَ
تَتَسَاقَطُ أَوْرَاقُ الأَرْصِفَةِ
وَهِيَ تَفْتَحُ أَزْرَارَهَا
تَتَجَمَّعُ الفُصُولُ فِي رَاحَتَيَّ
كُلُّ طَرِيقٍ إِلَيْكِ يَصِيرُ شَرَارَةً.

رَمَادُ أَيَّامِي
نَوَافِذُ مُشْرَعَةُ الأَمَدِ
كَسَرَتْ صَمْتَهَا لِيُطِلَّ مَلائِكَةٌ يَغْسِلُون الهَوَاءَ مِنْ صَخْبِ
المَدَى
بِيَدَيْنِ مَنْقُوعَتَيْنِ بِالنَّعْنَاعِ

تُلَوِّحُ لِضِيائِي أَنْ يُقَشِّرَ بِحَارَهُ مِنَ الزَّبَدِ
وَرُبَّمَا مِنَ السَّوَاحِلِ أَيْضًا.

أَيُّهَا المَوْجُ يَا رَفِيقِي الجَمِيلَ
اضْرِبْ بِعَصَاكَ السَّمَاءَ
لِيَتَهَاوَى أَسْلافِي بِأَبْرَاجِهِم يَنْخُرُونَ جَبِينَ النُّجُومِ
بِصُحْبَتِي تَخْرُجُ أَنْتَ
لِإِيوَاءِ المَتَاهَةِ مِنْ سُبَاتِهَا
لِإِيوَاءِ النُّورِ الَّذِي ضَلَّ طَرِيقَهُ لِسِوَى غَابَاتِي

تَعَالَ
نُبَلِّلُ الظُّلْمَةَ، وَدَعِ الظِّلالَ تَسْتَحِمُّ بِنَدَاكَ

قُلْ لِي
هَلْ مِنْ سَلْسَبِيلِكَ هَذِهِ الحُقُولُ

الْجَمْرةُ التِي مَنْبَعُهَا قَلْبِي
تَبْحَثُ عَنْ مَوْقِدِكَ لِتَصُبَّ فِيهِ
بَيْنَمَا أَصَابِعِي تَجْرَحُهَا سَمَاءٌ لَيْسَتْ لِي
فِي جُيُوبِي تَسْتَرِيحُ كَوَاكِبُ
خَبَّأَتُهَا مَعَ اليَاسَمِينِ
خَشْيةَ أن تَأْكُلَهَا الحُرُوبُ
الحُرُوبُ التِي تَشْتَهِينِي دَائِمًا
تُعلِّقُ قَمِيصِي مَجْدًا لِغَيْرِي
ثُمَّ تَنْسَلُّ هَارِبَةً لِطِلاءِ طُفُولَتِي بِالفَحْمِ

أَمَامَ اللهِ، أَظَلُّ وَحِيدًا
أُحْصِي أَخْطَائِي
الذِي فِي يَمِينِي أَكَلَتْهُ الطَّائِرَاتُ
وَالذِي فِي شِمَالِي ابْتَلَعَتْهُ السَّوَاتِرُ
كَيْفَ سَأُعَانِقُ الضَّوْءَ

ظِلِّي يُرَاوِدُنِي عَلَى نَفْسِي
فَأَخْتَزِلُ الجُنُونَ
أَرْمِي لِسِنَّارَتِي الحَمَاقَاتِ، فَتَنْهَشُ الأَسْمَاكُ كَلِمَاتِي
تُغَادِرُنِي الحُرُوفُ إِلَى الوَرَقَةِ
تَقْتَرِحُ عَلَيَّ بَيْتًا وَامْرَأَةً وَطِفْلَيْنِ

آهٍ
أَتَذَكَّرُ أَنَّنِي بِلا وَطَنٍ
وَأَنَّ الحُرُوبَ مَا زَالَتْ تُلاحِقُنِي وَتُغَيِّرُ أَشْكَالَهَا.

الشَّظايا سُعَالِيَ الْمُزْمِنُ
بَسَاطِيلُ الحَرَسِ* مَسَحَتْ ذِكْرَيَاتِي

كُلُّ مَا فِي رَاحَتَيَّ رَمَادٌ

* البساطيل والبساطير؛ أيضًا: هي أحذية الجنود التي تصل إلى تحت الركبة.

أَيْنَ سَأَحْفَظُ قُبُلاتِ النَّهْرِ
– الذِي دَخلَ المَدِينَةَ ذَاتَ يَوْمٍ مُتَنَكِّرًا بهَيْئَةِ صَبِيٍّ
فَاغْتَصَبَه الجُنُودْ –؟.

عَمّان

١٩٩٥م.

◊ أَقُولُ أُنْثَى.. وَلا أَعْنِي كَرْبَلاء ◊

كُلُّهُم ظِلالِي
أَسْتَدْرِجُ أَحْلامِي إِلَى مَوْقِدٍ
تَتَرَنَّحُ فِيهِ أَصَابِعِي.

مُرهَقَةٌ أَبْوَابُ الدَّارِ مِنَ الصُّرَاخِ
وَعَبَاءَةُ أُمِّي رَايَةٌ تُلوِّحُ بِلا أَمَلٍ
وَبِلا أَمَلٍ سَتَجُوبُ الأَزْمَانَ خُطُوَاتِي
يَتَآكَلُ الحَنِينُ فِي لِسَانِي
وَمَنْ لاذَ بِالصَّمْتِ لا يَسْتَبِيحُ ظِلِّي
وَيُحَرِّرُ غَابَاتِي بِرَمْلِهِ
النَّرْجِسُ يَتَنَاسَلُ فِي يَدِي

وَلا زَبَدَ فِي مِيَاهِي

أُوقِدُ الغُيُومَ
وَأَعْرِفُ أَنَّ لِلذِّكْرَى قَوَارِيرَ شَائِكَةً
أَحْرُثُ السَّمَاءَ بِالبَحْرِ
وَأَعْرِفُ أَنَّ الدَّمْعَ أَكْثَرُ زُرْقَةً
مِنْ بَهْجَتِي

أَرْقُبُ حَمَاقَاتِي بِشَغَفٍ لِتَرِثَ
العَصَافِيرُ مَتَاهَتِي
أُنْصِتُ لِلَّذِينَ يُوقِظُونَ الحُرُوبَ
مِنْ سُبَاتِهَا
فَأَرَى دَمِي يَتَدَحْرَجُ بَيْنَ الحُدُودِ

أَتَوَسَّلُ بِالكَلِمَاتِ أَنْ تَجْمَعَهُ

عَلَى الوَرَقَة.

* * *

كَيْفَ لي أَنْ أَجْعَلَ الآسَ

لا يُشِيرُ إِلَى أَسْرَارِي وَفِي يَمِينِهِ

مَا يَنْهَشُ الرُّؤْيَا

بَيْنَمَا هُنَاكَ نَسِيتُ القَنَادِيلَ

مَشْغُولَةً بِسَرِيرِي

قُلْتُ: هَذَا أَوَانُ حُقُولِكَ أَنْ تَلْثَغَ بِاسْمِي

فَأَسْرِجْ نُجُومَكَ لِتَرَى ضِيَائِي

وَتَقْتَفِيَ الأَثَرَ

مِنْ بَعِيدٍ يَتَرَاءَى فَنَاءُ تَرْنِيمَتِي

لا تُسَهِّدْ سَمَاءَكَ بِأَغْصَانِ الحِكْمَةِ

كَيْ لا أَغْرِسَ حُرُوفِيَ وَأَمْضِي

حَانِقًا: كُلُّهُم ظِلالِي.

* * *

اليَنَابِيعُ تُشِيرُ لِي

كَذَلِكَ النَّخِيلُ يُلوِّحُ

رَغْمَ دُخَانِ السُّجُونِ الكَثِيفِ.

المَحَطَّاتُ بِتَثَاؤُبِهَا الكَسُولِ

تَأْكُلُ سَنَوَاتِي

سَنَوَاتِي ذَاتُهَا ثَقَبَتْهَا المَلاجِئ.

** *

الذِي أَهَالَ نَرْجِسَهُ

مُتَّشِحًا مِنْ فَرْطِ سَلْوَاهُ

يَتَأَمَّلُ خَاتِمَتِي تَصْفَعُ نَاقُوسَهُ

تَغْسِلُ رَمْضَاءَهُ مِنَ الانْتِظَارِ

وَتُومِئُ لِلأَنْهَارِ: أَنْ تَسَلَّقِي

بَرْزَخَكِ بِعِنَادٍ

فَالسَّوَادُ بَاهِتٌ بِلا جُنُونٍ

وَلاهِثٌ يَطْرُقُ بَابِي لَعَلَّهُ

يَنُوشُ السَّمَاءَ

أَرْنُو إِلَى النَّوَافِذِ

فَأَرَى شَغَفَهَا يَفْتَرِشُ رِئَتَيَّ

حَتَّى نَسِيتُ أَنَّ ذَاكِرَتِي يُؤَرِّقُهَا

أَنَّهَا مُعَلَّقَةٌ بِهِدَيلِهَا.

* * *

يَا خُطَايَ لا تَسعُكِ البَرَارِي

فَلِمَاذَا تَنْقُرِينَ أَحْلامَكِ بِلا رَحْمَةٍ

وَتَسْتَطْلِعِينَ هُبُوطَ المَلاكِ

لِيَشُقَّ قَلْبَ البِلادِ، وَاضِعًا

نَشِيدِيَ فِيهِ

رَسَمْتُ لِلطُّرُقَاتِ خُطًى غَيْرَ خُطَايَ

كَيْفَ اهْتَدَتْ لِي.

* * *

كَيْفَ لِي أَنْ أَطْرُدَ الأَشْجَارَ

مِنْ رَأْسِي

وَلا تَتْبَعَنِي الزَّقْزَقَةُ؟

كَيْفَ لِي أَنْ أُعَرِّيَ أَبِي مِنَ الخِلافةِ

وَلا يَفِيضَ الفُرَاتُ فِي يَدِي؟

كَيْفَ لِي أَنْ أَقُولَ أُنْثَى

وَلا أَعْنِي كَرْبَلاء؟

وَأَقُولَ مَدِينةٌ

وَلا تَشْرَئِبُّ أُمِّي مُتَّشِحَةً بِكُلِّ اللَيْلِ بَيْضَاءَ

تُقَطِّرُ النَّايَ فِي فَمِي

وَتُعِيدُنِي إِلَى أَوَّلِ الحِكَايَةِ

أَوَّلِ الحِكَايَةِ التِي فِيهَا

أَغْتَسِلُ بِاليَقِينِ

فَأَرَى اليَاسَمِينَ الهِنْدِيَّ يُطَوِّقُ مَنَامِي

مُزْدَحِمًا، وَبِصُحْبَتِهِ الشَّوَارِعُ

تَتَهَجَّاهُ النِّسْوَةُ العَابِرَاتُ

إِلاّ سَيِّدةً يَتَهَجَّاهَا بِحَيَاءٍ وَيَمْضِي إِلَيَّ.

* * *

أَنَا لَمْ أُخَبِّئْ طُفُولَتِي فِي قَمِيصِي

لَكِنَّهَا سَرَقَتْنِي مِنَ الحَرْبِ

فَأَعْدَدْتُ لَهَا قَلْبِي فِرَاشًا وَصَحَوْتُ

نَادَيْتُ آلامِي فَأَطَلَّتْ مِنَ الشُّبَّاكِ

مُتْرَعَةً بِهَدْأَةِ التَّبَارِيحِ

خَشْيَةً مِنَ الجِيرَانِ

أَشْرْتُ لَهَا بِيَدِي فَفَاضَتْ بِالدُّمُوعِ
وَخَشْيَةً عَلَى القَصِيدَةِ أَنْ تَكْتَمِلْ.

عَمّان

١٩٩٦م.

◊ عُـوَاءُ ابْنِ آوَى ◊

أُمِّي آيَاتُ حِنَّاءٍ يُغَالِبُهَا العِشْقُ
فَتَرَمَّلَتْ
حُزْنُ مُحِبِّينَ فِي آخِرةِ اللَّيْلِ
يُفْرِغُ الهَمُّ فِي حِضْنِهَا مَوَاوِيلَهُ
ذِكْرَيَاتٌ مَشَتْ عَلَيْهَا الحُرُوبُ
مَا يَقُولُ النَّخْلُ للمِئْذَنَةِ
(حِينَ يَمُرُّ نَهْرُ الحُسَيْنِيَّةِ مَصْلُوبًا
فَوْقَ رِيحِ الشَّمَالِيِّينَ).
غُصْنُ رُمَّانٍ يَنْكَسِرُ مِنْ فَرْطِ أَسَاهُ
كُلَّ لَيْلَةٍ تَمْسَحُ عَنْ جَبِينِ الفُرَاتِيِّ الدَّمَ وَالتُّرَابَ وَتَبْكِي:
(قَتِيلٌ بِالطُّفُوفِ أَطَالَ نَوْحِي
وَأَسْلَمَنِي إِلَى الحُزْنِ الطَّوِيلِ).
تَحْمِلُ كُتُبًا مِنَ الزَّعْفَرَانِ وَتُخْفِي أُخْرَيَاتٍ مِنَ العَقِيقِ

إِلَى سِجْنِ السِّنْدِيِّ حَيْثُ يَرْقُدُ أَبِي
أَبِي الذِي خَاضَ مِائَةَ حَرْبٍ مُنْذُ مِيلادِ الخَطِيئَةِ البِكْرِ
حَتَّى جُنُوحِ القَبَائِلِ النَّوَوِيَّةِ فِي الحُكْمِ
كَانَتْ تَحْمِلُ لَهُ الشَّمْسَ وَالقَمَرَ وَإِحْدَى عَشْرَةَ رَغْبَةً
لِتَشُدَّ مِنْ أَزْرِهِ
وَإِذْ يُقْتَلُ أَبِي وَيُحَزُّ رَأْسُهُ
يَمْسَحُ العَلْقَمِيُّ دُمُوعَهَ وَيَتَوَارَى
حَامِلاً كَفَّيْنِ بَاسِقَتَيْنِ تتَوَهَّجَانِ خُضْرَةً وَنَدَمًا
تَصْعَدُ التَّلَّ لِتَشْهَدَ عُوَاءَ ابْنِ آوَى فِي المَدِينَةِ
عَلَى يَدِ آخِرِ القَتَلَةِ
وَحِينَ طَافُوا بِرَأسِهِ فِي الْمُدُنِ
زَيَّنَتْ أُمِّي وَجْهَ الخَلِيفَةِ بِبُصَاقِهَا
وَأَطْفَأَتْ قَنَادِيلَهُ الدَّاعِرَةَ
فَانْحَنَى البَحْرُ لَهَا مَكْسُورًا وَوَاسَتْهَا الرِّيَاحُ
رَمَتْ بِعِظَامِ النَّخِيلِ وَرُخَامِ القِبَابِ إِلَى السَّمَاءِ

فَكَانَتْ النُّجُومُ وَالكَوَاكِبُ

الشَّفَقُ دَمُ أَبِي
كَانَ فِي جَسَدِهِ سَبْعُونَ طَرِيقًا
وَكُلُّ طَرِيقٍ يَؤُدِّي إِلَى سَبْعِينَ بُرْتُقَالَةً و(مَقَامٍ)
بَايَعَهُ النَّاسُ يَوْمَ اشْتَعَلَتْ رُؤُوسُهُمْ بِالفَجِيعَةِ
ثُمَّ أَرْسَلُوا كُتبًا مُذَهَّبَةً بِالرَّجَاءِ
ومُطَعَّمَةً بِالتَّوَسُّلِ
وَمُرَصَّعَةً بِالأُمْنيَاتِ
لِيُتَوِّجُوهُ رَسُولاً بِلا كِتَابٍ
لَكِنَّهُمْ تَجَرَّعُوا البُكَاءَ عَلَيْهِ.. وَعَرَّجُوا
على النِّسْوَةِ اللائِي
قَطَّعْنَ أَعْمَارَهُنَّ
وَقَدَّمْنَها وَجْبَةَ طَعَامٍ لِلانْتِظَارِ
يُشْعِلنَ شُمُوعَ أُنُوثَتِهِنَّ كُلَّ مَسَاءٍ

ضَارِعَاتٍ

بَاكِيَاتٍ

نَاحِبَاتٍ

يَتَوَسَّمْنَ بِالعَلْقَمِيِّ

أَنْ يُغَنِّي للحُسَيْنِيَّةِ وَيَعُودَ،

وَيَتَضَرَّعْنَ (للحُرِّ)

أَنْ يَمْنَحَهُنَّ مِنْدِيلَ أَبِي

(مَا زَالَ مُعَانِقًا سَاعِدَهُ كِيْ يُوقِفَ نَزْفَ الخَنْجَرِ الأُمَوِيِّ)

وَأُمِّي تَمْسَحُ بِلَّوْرَ خَدَّيْهَا صَارِخَةً:

مَاذَا بِيَمِينِكَ أَيُّهَا الشَّاعِرُ؟

أَلْقِ قَصِيدَتَكَ

لِيَرْتَبِكَ الشُّعَرَاءُ

لا تَنْحَنِ لِغَيْرِ هَذَا الرُّخَامِ المَشْرِقِيِّ

لا تُصِلِّ

لِغَيْرِ المَنَائِرِ وَالحَمَامِ

اقْرَأْ

عَلَى القِبَابِ الْمُذَهَّبَةِ تَرَاتِيلَ المَلائِكَةِ السَّلام

وَلِكَيْ لا يَصْدَأَ عَلَى لِسَانِكَ الكَلامُ الفِرْدَوْسِيُّ

تَرَجَّلْ عَنْ صَرْحِ اللُّغَة.

كَربلاء

١٩٩٢م.

قتيل بالطفوف أطال نوحي... إلى آخر البيت؛ للشاعر جمال الدين الخليعي الموصلي الحلِّي (ت حوالي ٧٥٠هـ)، وقد وجده الشاعر على جدار مبنى أثري في شارع السدرة، يعود لأسرة هندية سكنت كربلاء منذ نهايات القرن التاسع عشر.

نهر الحسينية: قناة من نهر الفرات تسقي مدينة كربلاء وأريافها.

نهر العلقمي: كان يجري في كربلاء زمن واقعة الطَّفّ.

الحُرُّ: هو الحرّ بن يزيد الرياحي الذي كان في جيش يزيد بن معاوية وقطع طريق العودة على الإمام الحسين بن علي بن علي بن أبي طالب، ثم في أثناء معركة الطف انحاز إلى جيش الإمام الحسين.

سجن السندي: أحد أشهر السجون في العصر العباسي، وفيه سُجن الإمام موسى الكاظم.

مقام: تعني مقامات الأولياء.

◊ خَرِيفُ المَآذِنِ.. رَبِيعُ السَّوادِ.. دَمُنا..!! ◊

تَرَاتِيلُ كَهَنَةٍ وَقِدِّيسِينَ
صَلَواتُ شُهَداءَ
وتَسَابِيحُ عُشَّاقِ الرَّبِّ
مَا زَالَتِ المَلائِكَةُ تَطُوفُ بِأَزِقَّتِكِ
يُشْعِلُونَ البَخُورَ
وَلِدَرْءِ بَرَاءَتِكِ مِنْ هَشِيمِ صَرَخَاتِ خُمْبَابَا*
يُخَضِّبُونَ غُبَارَكِ بِالحِنَّاءِ
وَيُنْشِدُونَ:
كربائيلو.. سَيِّدةٌ لا تَشِيخُ أَبَدًا
وَاخْتِلاطُ حَيْرةِ المَاءِ وَالأَعْداءِ مَعًا

* خمبابا: هو الحارس المتوحش الذي أَسند إليه الإله أنليل مهمة حراسة غابات الأَرز؛ بحسب معتقدات حضارة العراق القديمة، ويُشَبَّه صوته؛ في ملحمة جلجامش؛ بالطوفان وكلامه باللهب ونَفَسُه بالموت.

اسْمٌ عَتِيدٌ يَتَوَضَّأُ تَارِيخًا وَبُطُولاتٍ
حُزْنٌ خَالٍ مِنَ الضَّغَائِنِ
رَايَاتُ بُكَاءٍ يَضِيقُ بِهَا الأُفُقُ
يَا أَعْتَقَ الْمُدُنِ المُقَدَّسَةِ
جِئْنَاكِ بِالدُّرِّ وَالحَنِينِ
لِنَرْتَشِفَ مِنْ مَائِكِ الطَّهُورِ
سَلْسَبِيلَ أَغَانِي الذين لاذُوا
بِعِفَّتِكِ مِنْ نَجَاسَةِ الحُرُوبِ،
المُتَّكِئِينَ عَلَى أَرَائِكِ المَجْدِ
وَشَهْوَةِ الخُلُودِ
أَبْنَاءُ سَبِيلِكِ،
لَهُمُ العِزَّةُ كُلَّمَا تَوَغَّلُوا فِي الرَّفْضِ
أَطْعَمُوا الحَلَّاجَ صَبَرهُمُو
وَأَفَاضُوا عَلَى الْمَلأِ حِلْمًا
قَايَضُوا بِالسَّخَاءِ العَزِيمَةَ

شَدُّوا القُلُوبَ عَلَى الدُّرُوعِ
وَرَقَصُوا لِلْمَوْتِ جَذْلانِينَ
فَتَنَاهَتْ إِلَيْهِم الرُّؤْيَا
أَكَلُوا جُوعَهُم وَسَمَّنُوا كَتِفَ المَوْتِ
بِطَرَاوَتِهِم بَلَّلُوا النَّدَى
وَفَلَقُوا الصَّخْرَ بِالرِّقَّةِ
أَكْرَمُوا الجُودَ
أَبْوَابُهُم مُشْرَعَةٌ
وَنَوافِذُهُم أَشَاخَهَا الِانْتِظَارُ
قَسَتْ عَلَيْهَا رِيَاحُ الشَّمَالِ
أَيْ سَلسَبيلَ قِبابِ اللهِ ومآذِنِهِ
أَوَ كُلَّما ابْتَعَدْتُ عَنْكِ ازْدَدْتُ قُربًا
أَحْمِلُ بَوْصَلَتِي
فَلا تَشْتَهِي سِوَى أَنْ تُرتِّلَ اسْمَكِ
أَفْتَحُ كِتَابِي فَتُشِيرُ كَلِمَاتُهُ إِلَى زُخْرُفِكِ السَّمَاوِيِّ

قَنَادِيلِي تَغْمِسُ ضِيَاءَهَا فِي قِبَابِكِ المُذَهَّبَةِ
أَنْتِ فِرْدَوْسُ الدُّمُوعِ
وَبَهْجَةُ النَّشِيجِ
أَحْلامِي تَسْتَوْحِي هَدِيلَكِ
فَتَفْرُكُ عَنْ سَرِيرِيَ النُّعَاسَ
النُّعاسُ ذَاتُهُ غَادَرَنِي إِلَى أَنْهَارِكِ العَبِقَةِ
أَبُلُّ صَمْتِي بِخَرِيفِ المَآذِنِ
فَيَنْهَمِرُ الكَلامُ
طُفُولَتِي أُدَوِّنُهَا فِي سَاحَةِ الحَرَمَيْنِ
لَكِنَّنِي أَنْسَى صِبَايَ
يُتْرَعُ بالعَبَاءَاتِ فِي بَابِ القِبْلَةِ
وَسَنَوَاتِي فِي تَلِّ الزَّيْنَبِيَّةِ
تَلْهُو بِالمَسَابِحِ وَالعَقِيقِ
فِي شَارِعِ العَبَّاسِ يتَزَاحَمُ الجَمَالُ مَعَ الأَسْئِلَةِ

أَيْ حاضنةَ الرياحينِ
أَنَا سَادِنُ عِشْقِكِ العَطَشَ
صَهْوَتِي ذَهَبٌ مُوَشًّى بِالصَّبَاحَاتِ
تَرَانِيمِي بَللَّهَا الأَذَانُ
فَاسْتَحَمَّتْ بِجَدَاوِلِكِ وَسَواقِيكِ
وَبِهَوَائِكِ تَعَطَّرَتْ.

مِنْ مَشَاعِلِكِ أَوْقَدْتُ لُغَتِي
بَيْنَمَا السُّودُ رَايَاتُكِ
تُحَلِّقُ حَوْلَ العَرْشِ
شُهَدَاؤُكِ أَيْضًا

أَخْرُجُ مِنْ بَابِ السَّلالمةِ
أُلْقِي السَّلامَ كَابْنٍ بَارٍّ
أَتَوَغَّلُ فِي المُطْلَقِ

عَنْ يَمِينِي سِدْرَةُ المُنْتَهَى
عَنْ شِمَالِي كَفَّا العَبَّاسِ تُلَوِّحَانِ لِي
بَعْدَ أَنْ اسْمَرَّتَا مِنَ الوَجْدِ وَالعَطَشِ
أَمَامِي
قِبَابٌ تَوسَّدَها التِّبْرُ
مَنَائِرُ تَغْفُو عَلَى رَاحَةِ السَّمَاءِ
تُدَاعِبُ أَجْفَانَهَا النُّجُومُ وَالأَيَّامُ
أَبْوَابٌ مُعَشَّقَةٌ بِالإِبْرِيزِ وَالفِضَّةِ
وَأَكُفِّ الحِنَّاءِ المُدَمَّاةِ بِنَشِيجِ الأُمَّهَاتِ
أَبْوَابٌ تَقُودُنِي إِلَى البَهَاءِ
أخلعُ جَسَدِي قبلَ أنْ أَصِلَ

أَسْوَارٌ افْتَرَشَتِ الحَجَرَ الكَرْبَلائِيَّ
وَتَارِيخٌ يَنِزُّ أَسًى وَدَمًا
عَمَائِمُ كَسَتِ السُّهُولَ

حِدَادُهَا أَشَدُّ حُلْكَةً
مِنْ شَـيْخُوخَةِ الدَّهْرِ
وَأُخْرَى تَصْفُو مَعَ الحُزْنِ وَالبَرَدِ
عبَاءَاتٌ تَكْنِسُ الغُزَاةَ
فَيَطْعَنُهَا ضَابِطُ الأَمْنِ
شَوَارِعُ تَتَوَالَدُ فِي الأَزِقَّةِ
فَتَنْمُو التَّكَايَا

بَسَاتِينُ اتَّكَأَتْ عَلَى خَاصِرَةِ المَدِينَةِ
وَحُقُولٌ رَاحَتْ تَحْلُمُ مُدَاعِبَةً أَصَابعَهَا
لِحَّى خَذَلَتْهَا طِيبَتُها
أَسْوَاقٌ تَتَنَاسَلُ...

.....

.....

.....

.....

.....

وَتَنْتَبِهُ فِي آخِرَةِ الرَّايَاتِ السُّودِ..
ثَمَّةَ مَفْرَزَةُ تَفْتِيش.

وَلِنْغْتُن ١٩٩٩م.

ساحة الحرمين، باب القبلة، تل الزينبية، شارع العباس، محلة باب السلالمة، شارع السدرة: أمكنة وسط مركز مدينة كربلاء التي هي مدينة الشاعر.

◊ جَنوبٌ مُطلَق ◊

... وَأَقُولُ: في الأَقَاصِي البَعِيدَةِ
ثَمَّةَ مَا يَدْعُو لِلتَّذَكُّرِ
في الْمُدُنِ الَّتِي أَنْهَكَهَا البَحْرُ
أَردِمُ أَحْلامِي
لِي مِنَ الْحُرُوبِ تِذْكَارٌ
وَمِنَ البِلادِ أَقْصَى الجِرَاحِ
لِي مِنَ الأَسَى دُمُوعُ المَشَاحِيفِ وَارْتِبَاكُ القَصَبِ
تَأَوُّهَاتُ النَّخْلِ
بَوْحُ البُرْتُقالِ
دَمُ الآسِ

هَناكَ...
تَرَكْتُ عَلَى خَارِطَةِ الطُّفُولَةِ

بَرَاءَةً ثَقَّبَتْهَا عُفُونَةُ العَسْكَرِ
وَمِنَ البَيْتِ سَرَقَتْنِي الثُّكُنَاتُ
وَرَمَتْني إِلَى الْمَنْفَى

أَنَا والسَّماءُ وَحِيدَانِ
ثَمَّةَ أَبَدِيَّةٌ تَسْتَظِلُّ بِي
ثَمَّةَ نِسْيانٌ يُغَادِرُني
تَارِكًا رَائِحَةَ القَصْفِ في مَمَرَّاتِ عُمْري
وَأقولُ: فِي الأَقَاصِي البَعِيدَةِ
تَسْتَغْفِلُني الحَرْبُ، فَتَكْنِسُ أَفْرَاحِي
أُمْسِكُ بِالسَّرَابِ..
بِلا جَوازِ سَفَرٍ؛ يُشْعِلُ الفُرَاتُ أَمْواجَهُ لِي
بَيْنَمَا جَمِيعُ الأَشْيَاءِ تُشِيرُ إِلَيْكِ
لا شَيْءَ يُذكِّرُني بِكِ
تَنْحَنِي الآفَاقُ لِتَعْبُرِي

خَيْطٌ مِن الفَراشاتِ يَنْتَظِرُ عِنْدَ بابِكِ
كَذَلِكَ زَقْزَقَةٌ شَاسِعَةٌ
وَهَدِيلٌ شَفِيفٌ يُلامِسُ الوَرَقَةَ
وَفِي البَيَاضِ بَوْحٌ طَوِيلٌ

وَأَقُولُ: فِي أَقْصَى الجَنُوبِ جَنُوبٌ.

المَرْأَةُ بِأَعْوَامِهَا الأَرْبَعِينَ تَجْهَلُ تَمَامًا
أَنَّ أَبِي أَكْثَرُ القَتَلَى بَشَاشَةً
بُطُولاتُهُ أَوْرَثَتْنَا الجُوعَ وَاحْتِفَاءَ الآخَرِينَ
وَمُنذُ ثَلاثِينَ سَنَةً قَمَرِيَّةً تَحْتَطِبُ أُمِّي انْتِظَارَهَا
حَتَّى غَدَتْ انْتِظَارًا.

طُفُولَتِي الَّتي سَخَّمَها الفَقْرُ وَاليُتْمُ
هَا هِيَ تَمُدُّ لِسَانَها سَاخِرةً مِنِّي

بَعْدَمَا سَخَّمَتْ حَيَاتِيَ الْحُرُوبُ وَالْمَنَافِي
كُلَّمَا اسْتَلْقَيْتُ حَاذَانِيَ الفُرَاتُ
مَادًّا لِي أَحْلامَهُ
فَتُزَاحِمُها القَذَائِفُ وَصَفَّارَاتُ الحِصَارِ
أَخْرُجُ مِنْ نَوْمِي إِلَى الطُّرُقَاتِ
مُثْخَنًا بِالذِّكْرَيَاتِ
أُبَادِلُ الشَّظَايَا بِالْوُرُودِ وَالقَصَائِدِ
وَرُعُونَةَ القصفِ بِعُودِ مُلاّ عُثْمَانَ المُوْصِلِيِّ
وَمَقَامَاتِ القبانجي

لِلْبَحْرِ الذِي بَلّلَتْه أَنَاشِيدُ البَحَّارَةِ
دُمُوعٌ تَسْتَرِخِي عَلَى الشَّوَاطِئِ
فَيَلْهُو بِهَا العُشَّاقُ وَالأَطْفَالُ.
مَحَارٌ يَغْفُو عَلَى جَفْنِ المَوْجِ
صُخُورٌ تَتَّكِئُ عَلَى خَاصِرَتِهِ

تَعُدُّ تَساقُطَ الأُمْنِيَاتِ
مِن المَارَّةِ

وَلِلْحَرْبِ أَيْضًا أَنَاشِيدُهَا
تِلْكَ الَّتِي بَلَّلَتْ أَحْضَانَ الأُمَّهَاتِ
بِالعَوِيلِ وَالتَّرَقُّبِ
نَوَافِذُ أُشْرِعَتْ لِلانْتِظَارِ
وَلا تُشِيرُ إِلَى أَحَدٍ
أَبْوَابٌ أَكَلَتْهَا الْحَسْرَةُ
فَتَهَشَّمَتْ عَتَبَاتُهَا
أَحْلامٌ تُسْحَلُ فِي الشَّوَارِعِ

(أَيَّتُهَا الشَّوَارِعُ مَتَى أُشَيِّعُ حُزْنِي عَلَى أَرْصِفَتِك؟).

مَصَابِيحُ شَاحِبَةٌ أَنْهَكَهَا البَرْدُ

وَلِلحَرْبِ...
قَذَائِفُ تَتَوَسَّدُنا، وَتَسْتَرِيحُ بِأَجْسَادِنَا
قَتْلَى فِي جُيُوبِهِم

عَصَافِيرُ تُشَاكِسُ الصَّبَاحَ
وَتَلْهُو بِنَجمَةٍ يَتيمَةٍ نَسِيَهَا اللَيْلُ
رَسَائِلُ دَافِقَةٌ بِالفَجْرِ
... وَأَقُولُ:
يَا لُهَاثَ الْجَنوبِ
يَا ابْنَ الشَّمْسِ
وَالأَنْهَارِ التِي تُطْلِقُ الكَوَارِثَ مِنْ أشْدَاقِها
مِثْلَمَا تُطْلَقُ الكُتُبُ المُقَدَّسَةُ والأَنْبِيَاءُ
هَا أَنْتَ أَخْطَأْتْكَ الْمَعَارِكُ غَيْرَ مَرَّةٍ
فَوَجَدْتَ نَفْسَكَ خَارِجَ الْحُدُودِ
وَحِينَ تَطَلَّعْتَ إِلَى الوَطَنِ

ابْتَلَعَكَ الْمَنفَى
تَنْفُخُ سَنَواتِكَ فَلا تَرَى سِوَى الرَّمَادِ
وَتَخْشَى عَلَى بَهَائِكَ مِنَ الِانْدِثَارِ

كُلَّ لَيلَةٍ تُقيمُ حَفْلاً لِدِجْلَةَ فِي أَقْصَى جَنُوبِ الْجَنُوبِ
لا جَنُوبَ وَرَائِي لأَصِيحَ: هُنا بِلادِي
وَلا جَنُوبَ أَمَامِي لأتَلَمَّسَ لِي مَنْفَذًا إِلَيْهِ

أَنَا الجَنُوبُ الْمُطْلَقُ..
عُدَّتِي تَارِيخٌ طَوِيلٌ مِنَ الحُرُوبِ والِانْكِسَارَاتِ
الأَمْجَادُ المُلَوَّثَةُ بِسِيَاطِ الْوَالِي
وَأوسِمَةِ الجِنرَالِ
عَرَّتْنِي وَحِيدًا فِي الأَرْضِ الْحَرَامِ
لَيْلِي مُشَبَّعٌ بِتَفَاصِيلِ الثُّكُنَاتِ:
سِرِّ اللّيلِ

ضَابِطِ الْخَفَرِ
وَفِرَقِ الإِعْدَامِ.

كُلُّ النِّسَاءِ اللَّوَاتِي عَرَفْتُ
واللَّواتي سَوْفَ أَسِمُ شَهَوَاتِهِنَّ بِحَمَاقَاتِي
شَمَمْنَ صَهِيلَ السَّوَاتِرِ فِي زَفِيرِي
وَاسْتَفَزَّ أُنوثَتَهُنَّ هَذَيَانِي فِي ثَاكِلَةِ اللَيْلِ
وَأَقُولُ:
يَا لُهَاثَ الفُراتَيْنِ
كَيْ أَسْتَطِيعَ مُصَافَحَةَ غُرْبَتِي
هَلْ عَلَيَّ أَنْ أَحْرِقَ جُذُورِي؟
وَأَرْمِيَ ثَلاثِينَ عَامًا إِلَى البَحْرِ
لِتَكُونَ وَلِيمَةً شَهِيَّةً لِلأَسْمَاك.
هَلْ عَلَيَّ أَنْ أَخْلَعَ قَمِيصِيَ المَلِيءَ قَسْرًا

بِالقَذَائِفِ وَالوِشَايَاتِ وَالحِصَارِ

لِتُعانِقَني سَماءٌ لَيْسَتْ لِي

وَأَقُولُ:

يَا لُهَاثَ الفُراتَيْنِ

في الْمُدُنِ القَصِيَّةِ

ثَمَّةَ مَا يَدعو لِلتذَكُّرِ

فِي الأَقَاصِي الَّتِي أنْهَكَها البَحْرُ

أَرْدِمُ أَحْلامِي

لِي مِنَ الْحُروبِ تذْكَارٌ

وَمِنَ البِلادِ أَقْصَى الجِراحْ.

وَلِنْغْتُن ١٩٩٩م.

◊ ١٩٦٧/٣/١ ◊

يَا لَهُ مِنْ جُنُونٍ يَخْتَزِلُ القَصِيدةَ
أَعْنِي أَنْتِ
يَدَايَ تَفْعَلانِ كُلَّ شَيْءٍ بِحُرِّيَّةٍ مُطْلَقَةٍ
عَيْنَايَ تُسْهِبَانِ
وَعَلَى شَفَتَيَّ انْكَسَارَاتٌ
أَمْجَادُ حُرُوبٍ لِغَيْرِي
لَا أَدْنُو، لَكِنَّ قَلْبِي يَجِفُّ
السِّياطُ سَحَقَتْ ذَاكِرَتِي
وَالزَّنَازِينُ جَعَلَتْنِي قَمِيصًا مُهْتَرِئًا
عَلَى كَتِفَيَّ تَسِيلُ المَنَافِي
وَفِي الشَّبَابِيكِ أَسْئِلةُ الغَائِبِ
فِي سَلَّةِ الأَلَمِ تَنْكَسِرُ شُمُوسِي
وَصَهِيلِي يَسِيلُ هُوَ الآخَرُ قَبْلَ أَنْ يَصِلَ

أَنَا بَاسِم فُرَات...

يَا اللهُ...

أَتَعْرِفُنِي؟!

المَخَافِرُ مَوْشُومَةٌ عَلَى جِلْدِي

وَأُمِّي لَمْ تَلْتَفِتْ لِلشَّظَايَا

حِينَ مَشَّطَتْ صِبَايَ

فَأَهَالَتْ الشَّمْعَ وَالآسَ فَوْقَ صَبَاحِي

"يمَّة ذكريني من تمر زفة شباب

من العُرس محروم وحنتي دم المصاب

شمعة شبابي من يطفوها

حنتي دمي والكفن ذاري التراب"*

بِعَبَاءَتِهَا التِي تُشْبِهُ أَيَّامِي تَمَامًا

كَانَتْ تَكْنِسُ الطَّائِرَاتِ
لِتَرْسُمَنِي كَمَا تَشْتَهِي
أَلِأَنِّي كُنْتُ أَحْمِلُ الوَطَنَ فِي جَيْبِ قَمِيصِي
وَتَحْتَ لِسَانِي نَهْرَانِ يَهْدِرَان؟

أَرْكُضُ خَلْفَ مَوْتِي، وَجُثَّتِي تَتْبَعُنِي
البِلادُ خَرِيفٌ طَوِيلٌ
سَيْلٌ مِنَ الغَثَيَانِ
نَهَارٌ يَخْتَبِئُ تَحْتَ القُبَّعَةِ
وَعَلَى صَدْرِكِ تَتَفَتَّحُ الأَسْئِلَةُ

أُغَنِّي لِلْوَرْدَةِ
بَيْنَمَا يُحَاصِرُنِي الحُزْنُ

أَنْتِ لا تُدْرِكِينَ

مَاذَا يَعْنِي أَنْ نَتْرُكَ قُبْلاتِنَا
فَوْق الرُّخَامِ
وَيَنْزَلِقَ الهَوَاءُ بَيْنَ رُكْبَتَيْنَا
مَنْ يُمْسِكْ بِالصُّدْفَةِ
يُمْسِكْ بِكُلِّ شَيْء.

كَانَ الأُفُقُ يَرْتَدُّ
وَيَدِي تَمُرُّ فَوْقَهُ بَارِدَةً
أَضِيقُ بِالبَحْرِ
فَتَسْقُطُ نَجْمَةٌ أُخْرَى أَسْفَلَ الحُلْمِ

١٩٦٧/٣/١ سُرِقَتْ مِنْ أَبِي الخِلافَةُ
ضُرِبَتْ فُحُولَتُهُ فَتَدَلَّى الخَرَابُ مِنْ فَمِهِ

١٩٨٠ مَشَيْتُ خَلْفَ جُثَّتِي

كُنْتُ هَرِمًا وَطُرُقَاتِي يَثْقُبُها الحَنِينُ
بَيْنَ جَبَلَيْنِ يَتِيمَيْنِ تَرَكُونِي وَمَضَوْا
لَمَحْتُ خُطَاهُمُ تَتَثَاءَبُ، لَمْ يَلْتَفِتُوا إِلَى نَدَى قَمِيصِي
وَهُوَ يَفرُكُ عَنْ عَيْنِهِ النُّعَاسَ
كَانَتْ صَرَخَاتُهُم تَسْبِقُهُمْ.

لِمَاذَا قَلْبِي مِعْطَفٌ
وَبَيْنَ شَفَتَيْكِ تَسْتَيْقِظُ الحِكْمَةُ
وَيَبْتَهِجُ القَمَرُ
لِمَاذَا لَمْ تُدْرِكِ القُبَّرَاتُ سِرَّ رَحِيلِنَا؟
وَلِمَاذَا ضَاقَتِ الحُقُولُ
وَبَدَأَتْ أَعْمَارُنَا تَسْعَلُ
وَمَرَايَانَا تَبْصُقُ مَرَايَاهَا
لا تَنْحَنِي؟
هَذَيَانِي

نَوَافِذُ أَوْسَعُ مِنْ أُفُقٍ
وَأَعْلَى مِنْ غَيْمِ مَسَرَّاتِنَا
رَايَاتُ مَخْذُولِينَ.

العَبَقُ المُنْتَشِرُ كَدَبِيبٍ فَوْقَ سَاقَيْكِ
الحُرُوفُ فِي بَيْتِي
لَكِنَّ القَصِيدَةَ تَتَهَيْكَلُ..
مَنْ أَعْطَى المَدِينَةَ هَذَا الفَمَ؟
لِتَبْتَلِعَ القَصَائِدَ وَالحُقُولَ
فَلا أَجِدَ مَسْرَبًا لِلحُرِّيَّة.

عَمّان.

الأول من تموز ١٩٩٥م.

* تتضمن القصيدة مقطعًا باللهجة العراقية للشاعر كاظم منظور الكربلائي.

O المحتـوى O

م		الصفحة
	الإهـداء...	٥
١	إلى لغة الضوء أقودُ القناديل...	٧
٢	أرسـم بغـداد...	١٧
٣	عانقتُ بُرجًا خِلْتُهُ مئـذنة...	٢٦
٤	دُلَّني أيُّها السَّواد...	٣٥
٥	آهِلون بالـنزيف...	٣٧
٦	عبرتُ الحدود مصادفة...	٣٩
٧	عنـاق لا يقطعـه سـوى القصـف	٤٣
٨	أقول أنشى.. ولا أعني كربلاء	٤٩
٩	عـواء ابن آوَى	٥٨
١٠	خـريف المآذن.. ربيع السواد.. دمنـا	٦٣
١١	جنـوب مُطلق...	٧١
١٢	١٩٦٧/٣/١	٨٠

* * *

صـدر للشـاعر

في الشعر:

أشَدُّ الهديل (١٩٩٩م)– الطبعة الثانية (٢٠١٧)

خريف المآذن (٢٠٠٢م)– الطبعة الثانية (٢٠١٧)

أنا ثانيةً (٢٠٠٦م)– الطبعة الثانية (٢٠١٧)

بلوغ النهر (٢٠١٢م)

أشهق بأسلافي وأبتسم (٢٠١٤م)

أهُـزُّ النسيان (٢٠١٧م)

بريد النيل الأزرق (٢٠١٧)

إلى لغة الضوء: مختارات شعرية (٢٠٠٩م)

في السيرة الذاتية:

دموع الكتابة: مقالات في السيرة والتجربة

في أدب الرحلات:

مسافرٌ مقيم: عامان في أعماق الإكوادور

الحلم البوليفاري: رحلة كولومبيا الكبرى

لا عشبة عند ماهوتا: من منائر بابل إلى جنوب الجنوب

تحت الطبع:

ندمٌ ينام في عباءة الجبل (مختارات شعرية)

العراق: في الثقافة والهوية.